

التناظر في القرآن الكريم — دراسة تطبيقية في سورة "النبا"

Symmetry in the Holy Qur'an -an applied study in Surat An-Naba

د. مختارية بن عابد*

تاريخ القبول: 2022/08/10

تاريخ استقبال المقال: 2022/08/02

تاريخ النشر: 2022/08/25

ملخص: بذل علماءنا العرب المسلمون الجهد الذي لا يمكن حصره أو وصفه في سبيل الكشف عن أسرار القرآن الكريم، وإبراز دلائل إعجازه وحقائق بيانه وجمال بنائه، إلا أنه لا يزال مكمننا لأسرار عظيمة وكنوز عجيبة تحتاج للكشف عنها عن طريق التأمل والتدبر، وفي سبيل اتباع هذا النهج والمساهمة بإضافة يسيرة إلى هذه الدراسات الجليلة خدمة لكتاب الله الكريم، حاولنا في هذه الورقة البحثية إبراز خاصية مبهرة في القرآن العظيم تفيد في إثبات إعجازه وهي "التناظر" الذي يعدّ منهجية قرآنية تؤكد بناء سور القرآن الكريم وآياته على نظام واضح محدّد منضبط منتظم من خلال إحدى سوره وهي سورة "النبا" التي أمكننا فيها إبراز مظاهر هذا التناظر.

وقد تجلّى التناظر في هذه السورة في مقاطعها، وكذلك في آياتها، سواء في شكل تسلسلي تراثي أو متعاكس، بحيث لاحظنا أن العلاقة بين تلك المقاطع أو الآيات المتناظرة مبنية على دلالات عدة تتنوّع بين التوافق، والتخالف، والتتابع والتكامل...
كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، التناظر، سورة النبا، المقاطع، الآيات.

Abstract: Our Arab scholars have worked hard to uncover the secrets of the Qur'an and to highlight the signs of its miracle and the beauty of its construction, and in order to follow this approach, we tried in this research paper to highlight a fascinating feature in the Great Qur'an,

"Symmetry", through Surat " An-Naba " verse in which we were able to highlight the manifestations of the Qur'an. This symmetry.

The symmetry in this surah was manifested in its passages, as well as in its verses, whether in a hierarchical or opposite form, and where we observed that the relationship between those sections or symmetrical verses is based on several connotations ranging from compatibility, contrast, sequence and integration...

Keywords: The Holy Quran, Symmetry, Surat al-Nabaa, sections, verses.

1. مقدمة:

إن التناظر موجود في الطبيعة وفي جميع الفنون والعلوم، بل في الكون كله مما يدلّ على وجود «ترتيب تام وانسجام كامل وراء أيّ شيء موجود في الكون، وإننا نحس من خلال التناظر بوجود نوع من المنطق في آلية عمل الكون»¹، وكل هذا إنما هو دليل على وحدانية الخالق وقدرته وعظمته، فكيف إذن لا يكون هذا التناظر في كلام الخالق العظيم، ليفيد في إثبات إعجازه، ويعبر عن قوة الجمال في الكشف عن حقائق بيانه ودقّة بنائه ونظمه، ولذلك جاءت هذه الدراسة للإجابة عن الإشكالية المتمثلة في التساؤل التالي: ما هي مظاهر التناظر في القرآن الكريم؟ وكيف يمكن الكشف عنها؟.

وعليه فإن الهدف من دراستنا هذه هو الكشف عن مظاهر هذا التناظر من خلال إحدى السور التي رأينا فيها تحقق هذه الظاهرة وهي سورة "النبا"، وتوضيح كيفية ذلك مع بيان أنواعه، وتحديد طبيعة العلاقات التناظرية الموجودة بين مقاطع السورة. معتمدين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي في تحليل معاني آيات السور المأخوذة من التفاسير، ومحاولة الربط بينها لتوضيح التناظر بين المقاطع وبين الآيات. وقد كانت المنهجية المتبعة أن تم تقسيم الموضوع إلى عنصرين رئيسيين، الأول: يتحدّث عن مفهوم التناظر وأنواعه. والثاني: يتمحور حول الدراسة التطبيقية في سورة النبا.

¹ ليون ليدرمان، وكريستوفر هيل، التناظر والكون الجميل، ترجمة: نضال شمعون، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 01، 2001م، ص19.

2. مفهوم التناظر، وأنواعه:

2. 1. مفهوم التناظر:

التَّناظر لغة: مأخوذ من مادة (ن ظ ر)، التي تدور استعمالاً حول حاسة الإبصار وهي العين¹؛ «فالنظرُ تأملُ الشيء بالعين... والعرب تقول: داري تنظر إلى دار فلان، ودورُنَا تُناظر؛ أي تُقابل». وفي "مقاييس اللغة": «هذا نظير هذا، أي أنه إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء»²؛ فالتناظر إذن يعني التقابل والتساوي. وكذلك التقابل والتماثل؛ فيقال: «تناظرت المنازل: تقابلت وتماثلت»³.

أما اصطلاحاً: فلم نلفت تعريفاً محدداً واضحاً للتناظر لدى القدماء من علمائنا العرب، ولعل ذلك يعود إلى أن أغلب دراساتهم كانت تطبيقية لا تنظرية، فمثلاً نجد "أبا جعفر الطوسي" يطلقه على الترادف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁴. فيقول في ذلك: «اللبس والستر والتغطية والتعمية نظائر»⁵.

ونجد "أبا هلال العسكري" يفرّق بين (المثل) و(النظير) فيبين أن (المثلين) ما تكافأ في الذات، و(النظير) ما قابل نظيره في جنس أفعاله وهو متمكن منها كالنحوي نظير النحوي، وإن لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه، ولا يقال النحوي مثل

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 03، 1414هـ، ص 5/ 215.

² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط 01، 1979م، ص 997.

³ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 01، 1429هـ/2008م، ص 3/ 2231.

⁴ سورة البقرة، الآية 42.

⁵ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د-ت، ص 1/ 189.

النحوي؛ لأن التماثل يكون حقيقة في أخص الأوصاف هو الذات¹، وعلى هذا فإن التماثل والتناظر متقاربان دلالياً، وكأنا يطلق الواحد مكان الآخر. وهو ما نجده عند بعض المحدثين كقول "علي الخولي" بأن: «التناظر هو تماثل معنى جملتين»²، فهو يعرف التناظر بأنه التماثل في معنى الجمل على عكس الترادف الذي يقع بين معاني الكلمات. أما عند الغرب فنجد "غريغاس" يعرفه بأنه: «جذر دلالي يوحد عوالم النص، ويمنحه انسجامه من خلال الحد من فوضى المعاني وإمكانية انتشارها في كل الاتجاهات»³، وهنا إبراز لخاصية مهمة في ظاهرة التناظر وهي توجيه المعنى والحد من فوضى انتشاره.

هذا ولقد صاغ كل من "سليمان الدقور وأيمن عيد الرواجفة" تعريفاً خاصاً للتناظر في القرآن الكريم نصّه أنه: «منهجية قرآنية تؤكد بناء سور القرآن الكريم وآياته على نظام واضح محدّد منضبط منتظم تتوافق فيه السور القرآنية لتكون كل سورة مناظرة لسورة أخرى، وتتوافق فيه الآيات في السورة الواحدة لتكون كل آية مناظرة لآية أخرى»⁴.

2. 2. أنواع التناظر:

¹ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د-ت، ص 155.

² محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط 01، 2001، ص 96.

³ ينظر: حامد إبراهيم امهيدي، التناظر والدليل في سياق التأويل، الرسم أنموذجاً، جامعة بابل كلية الفنون الجميلة، مجلة نابو للبحوث والدراسات، العدد 05، ديسمبر 2010، ص 39.

⁴ سليمان الدقور، أيمن عيد الرواجفة، التناظر في القرآن الكريم: تأصيل وتطبيق، إسلامية المعرفة، لمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، السنة 24، العدد 96، 1440هـ / 2019م، ص 22-23.

تورد المصادر أن التناظر عند العلماء نوعان¹: تناظر لفظي وآخر معنوي. فالأول يعني أن يتماثل النظيران في الشكل الظاهر، وإن اختلف معناهما نحو: (لا النافية) و(لا الناهية)، و(كم الخبرية) و(كم الاستفهامية)، فيعطي كل نظير حكم نظيره الآخر.

أما الثاني فمنه إلحاق النظير بنظيره في المعنى كإلحاق (لا) بـ (ليس)؛ لأنها مثلها في النفي. أو إعطاء النظير حكم نظيره في المعنى نحو ما ذكره "ابن الشجري" في (يأبى) من قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ ثَوْرَهُ﴾²، من القياس في (أبى) أن يكون المضارع منها (يأبى) مثل (أتى، يأتي)، لكن شذت عن القياس لخلوها من حروف الحلق، غير أنهم عللوا مجيئها على (يأبى) بأنها حملت على (منع)؛ لأن الإباء والمنع نظيران في المعنى.

هذا وإن الكشف عن التناظر في القرآن الكريم «يحتاج إلى منهجيات تطبيقية عدة، تحكمها طبيعة نظم القرآن الكريم، وتقسيمه إلى آيات وسور، مع تأكيد أن هذه الأنواع والأشكال كلها -بصرف النظر عن تعددها وتنوعها- لا تتعارض في نتائجها ودلالاتها وإنما تتكامل وتتوافق في تحقيق مقاصد السور ومقاصد القرآن الكريم»³، حيث حدّد كل من "سليمان الدقور" وأيمن عيد الرواجفة" نوعين من التناظر هما⁴:

● **التناظر بين سور القرآن الكريم:** وذلك بعد تقسيم السور من حيث عملها نصفيا إلى قسمين، والنظر في تقابل كل سورة من النصف الأول مع نظيرها من القسم الثاني. وهذا التناظر يظهر في الموضوعات لا في الآيات، ولعل هذا منسجم تماما مع اختلاف عدد آيات السور. ويظهر هذا النوع بأحد النموذجين: تناظر السورتين في

¹ ينظر: عبد الفتاح حسن علي البجة، ظاهرة قياس الجمل في اللغة العربية بين علماء اللغة القدامى والحديثين، دار الفكر، عمّان، ط1، 01، 1419هـ/1998م، ص 331.

² سورة التوبة، الآية 32.

³ سليمان الدقور، أيمن عيد الرواجفة، مرجع سابق، ص 27-28.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 28-29.

تسلسل بدء السورة مع ختام السورة الأخرى. وتناظر السورتين في تسلسل بدء السورة مع بدء السورة الأخرى.

● التناظر في السورة الواحدة: وينقسم إلى قسمين، هما:

✓ التناظر بين آيات السورة بعد تقسيمها من حيث عددها نصفياً إلى قسمين، وهو في السور التي عدد آياتها زوجي يظهر بتقسيمها قسمين متقابلين. أما السور ذوات الآيات الفردية فيظهر عند تقسيمها وجود آية مركزية في وسطها، وتتناظر بقية الآيات على نحوٍ تطابقي واضح.

✓ التناظر بين موضوعات السورة ومقاطعها، حيث يظهر تكامل هذه الموضوعات وتناسق نظمها في السورة لتحقيق معانيها ومقاصدها.

ويظهر هذان القسمان بأحد الشكلين الآتيين:

- تسلسل تناظر البدء مع البدء: فإذا كان عدد آيات السورة -مثلاً- مائة آية، فإن الآية 01 تتناظر مع الآية 51، والآية 02 تتناظر مع الآية 52 وهكذا. وإذا كان عدد المقاطع -مثلاً- عشرة مقاطع، فإن المقطع 01 يتناظر مع المقطع 06، والمقطع 02 يتناظر مع المقطع 07 وهكذا.

- تسلسل تناظر البدء مع الختام: فإذا كان عدد آيات السورة -مثلاً- مائة آية، فإن الآية 01 تتناظر مع الآية 100، وآية الثانية تتناظر مع الآية 99 وهكذا. وإذا كان عدد المقاطع -مثلاً- عشرة مقاطع، فإن المقطع 01 يتناظر مع المقطع 10 والمقطع 02 يتناظر مع المقطع 09 وهكذا.

3. التناظر في سورة "النبا":

سورة النبأ هي سورة مكية، تتمحور موضوعات آياتها -حسب التفاسير¹ - حول يوم البعث، فبدأت بتساؤل المشركين عنه، واختلافهم فيه، ثم بيان قدرة الله تعالى من خلال ما أنعم على عباده من نعم يتمتعون بها؛ وكأنه يراد بذلك التساؤل التالي: إن الله قادر على ما ترون من عظمة، فكيف لا يقدر على بعثكم في هذا اليوم؟، ليؤكد لهم بأن هذا اليوم آت لا محالة وله وقت محدّد وعلامات معيّنة، وسيكون بعده، جزاؤكم أيّها المكذّبون العذاب في نار جهنّم، أما المتّقون فلهم جنّات النعيم. وفي آخر السورة عودة إلى يوم البعث وما سيكون فيه، فكان ما بدأت حوله انتهت به، وذلك جواباً على التساؤل وتأكيذاً على أن المشركين سيعلمون حقاً عندما يكونون في ذلك الموقف الموصوف في آخر السورة.

ومن أجل الكشف عن مظاهر التناظر في هذه السورة قمنا بقراءتها قراءة تفحص وتدبر مرات عديدة، مستعينين بالتفاسير؛ لأن القراءة التناظرية في القرآن «تعتمد على التفاسير لفهم الآيات ومعاني الكلمات، وتساعد كذلك على توليد معاني جديدة، وإيجاد المناسبات والروابط بين الآيات بناء على محور السورة الرئيس والسياق لا بناء على الآراء الشخصية»²، فما كان من عملنا هنا إلا الاجتهاد في التقريب بين المعاني والدلالات انطلاقاً من هذه التفاسير.

¹ الشيخ هود بن مُحْكَم الهواري (من علماء ق 03 هـ)، تفسير كتاب الله العزيز، تح: بالحاج بن سعيد الشريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1990م، ص 459/4-464. وأبي بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام الله العلي الكبير، راسم للدعاية والإعلان، جدة، ط 03، 1410هـ/1990م، ص 506-500/5.

² ندين مصطفى السليمي، الوحدة الموضوعية لسورة البلد عند ابن عاشور وإصلاحي ونظرية التناظر -دراسة نظرية تطبيقية-، مجلة الصراط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، المجلد 21، العدد 03، ديسمبر 2019م، ص 101.

وعليه قمنا بتقسيم السورة التي يبلغ عدد آياتها أربعون آية إلى قسمين؛ فكان عدد آيات القسم الأول عشرون ابتداءً من الآية الأولى إلى الآية عشرين، وعدد آيات القسم الثاني عشرون أيضاً ابتداءً من الآية واحد وعشرين إلى الآية أربعين حسب الجدول التالي:

القسم الأول (01 - 20)	القسم الثاني (21 - 40)
عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1)	إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21)
عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (2)	لِلطَّاغِينَ مَأْتًا (22)
الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3)	لَا يَبِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23)
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4)	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24)
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)	إِلَّا حَيْمًا وَعَسَافًا (25)
أَلَمْ نجعلِ الْأَرْضَ مَهَادًا (6)	جَزَاءً وِفَاقًا (26)
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7)	إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27)
وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8)	وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (28)
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9)	وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29)
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10)	فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30)
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11)	إِنَّ لِلْمُتَفَعِّينَ مَقَارًا (31)
وَنَبِّينَا قُوفُوكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12)	حَدَائِقٍ وَأَعْنَابًا (32)
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13)	وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا (33)
وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14)	وَكُنُوسًا دِهَاقًا (34)
لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15)	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (35)
وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)	جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36)
إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ يَمِيقًا (17)	رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37)
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18)	يَوْمَ يَنفُثُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (38)
وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19)	ذَٰلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاتَا (39)
وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20)	إِنَّا آنَذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا أَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)

3. 1. تناظر المقاطع في السورة:

عند التمعّن في الآيات نرى أن كل قسم منها ينقسم إلى ثلاثة مقاطع وفق

الجدول التالي:

القسم الأول (01 - 20)	القسم الثاني (21 - 40)
المقطع الأول (01): (01 - 05) من الآية: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1)﴾ إلى الآية ﴿لَمْ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)﴾	المقطع الأول (01): (21 - 30) من الآية: ﴿إِنَّ هَهْنَمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21)﴾ إلى الآية ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30)﴾
المقطع الثاني (02): (06 - 16) من الآية: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6)﴾ إلى الآية ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)﴾	المقطع الثاني (02): (31 - 36) من الآية: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارًا (31)﴾ إلى الآية ﴿رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا (36)﴾
المقطع الثاني (02): (17 - 20) من الآية: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17)﴾ إلى الآية ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20)﴾	المقطع الثاني (02): (37 - 40) من الآية: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37)﴾ إلى الآية ﴿عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)﴾

❖ تفسير مقاطع القسمين¹:

✓ تفسير مقاطع القسم الأول:

- المقطع الأول: يتحدث عن تساؤل المشركين من أهل قريش عن النبأ العظيم

وهو يوم البعث وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث الآخر

الذي هم فيه مختلفون؛ فمنهم مصدّق ومكذب، فقال لهم الله تعالى ردعا لهم وتخويفا

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4)﴾ عند نزع أرواحهم عاقبة تكذيبهم لرسولنا وإنكارهم لتوحيدنا

¹ الشيخ هود بن مُحَكَّم الهواري، مرجع سابق، ص 459/4-464. وأبي بكر جابر الجزائري، مرجع سابق، ص 506-500/5.

ولقائنا، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (5)؛ أي حقا سيعلمون يوم يبعثون من قبورهم ويحشرون إلى نار جهنم، فكان ذلك وعيدا بعد وعيد.

- **المقطع الثاني:** تبين الآيات مظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة ما يوجب الإيمان به وتوحيده ورسوله ولقائه لو كان القوم يعقلون؛ من خلال النعم التي أكرم الله بها عباده للمتعة والراحة والتأمل فيها، من مثل جعل الأرض مهادا؛ أي فراشا ووطاء للحياة عليها، والجبال أوتادا تثبت الأرض، وخلقهم أزواجاً، وجعل نومهم سباتاً أي راحة لأبدانكم...، فالله وحده القادر على كل ذلك، فكيف يُنكر توحيده ويُكذب رسوله، ويُستبعد بعثه للناس يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم على أعمالهم، ولا يكون هناك حياة أخرى يجازى فيها المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه، لكن الحقيقة التي لا مرأى فيها هي وجود حياة أخرى وهي الحياة الأبدية.

- **المقطع الثالث:** وفيه عرض للبعث الآخر وما يجري فيه بذكر الأحداث للانقلاب الكوني، بعد تأكيده عز وجل على أن يوم الفصل أو القيامة مضبوط بوقت محدد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (17)، ومن هذه الأحداث التي تسبقه نفخ "إسرافيل" نفخة البعث وهي النفخة الثانية؛ فيأتي الناس جماعات، وانشقاق السماء لترول الملائكة منها، وسيرورة الجبال سرايا في نظر الرائي؛ أي هباء ليس بشيء.

✓ تفسير مقاطع القسم الثاني:

- **المقطع الأول:** وفيه وصف لجزاء من تنكر لعقله فكفر بربه وآمن بالشيطان وعبد الهوى؛ أي المشركين المكذبين الطاغين، حيث ذكر الله تعالى مصيرهم وحالهم في عذاب جهنم الأليم الذي لا انقطاع له ولا أمد ولا منتهى، فلا يذوقون فيها برداً؛ أي نوماً، ولا شراباً ذا لذة إلا حميماً وهو الماء الحار، وغساقاً وهو ما يسيل من صديد أهل النار...

- **المقطع الثاني:** تنبأ الله تعالى في آياته بذكر فوز المتقين الأبرار ومصيرهم في جنات النعيم، بوصف ما فيها من حدائق وأعنان، وكواعب أتراب؛ أي فتيات أبكارٍ

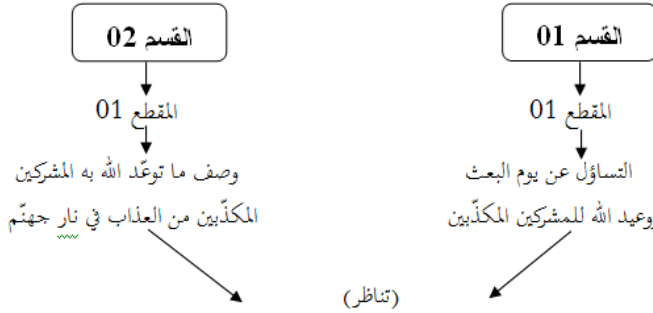
في سن واحدة (دون الثلاثين أو في ثلاث وثلاثين سنة)، وكأس دهاق؛ أي كأس خمر مألئى، لا يسمعون فيها قولاً باطلاً ولا كذباً. وهذا ما جزاهم ربهم به فجعله عطاء كافياً.

- المقطع الثالث: وفيه وصف لما سيحصل يوم القيامة، وذلك بعد وصف الجبار نفسه إعلاماً وتذكيراً بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما؛ أي مالكما والمتصرف فيهما، الرحمن؛ رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما لا يتكلم أحد أمامه إلا بإذنه، ومما سيكون في ذلك اليوم قيام الروح والملائكة صفّاً، فهذا هو يوم الحق لا مرية فيه ولا شك، وبناء عليه فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً؛ أي مرجعاً إليه بالإيمان والطاعة. وقد أُنذركم الله وخوفكم عذاباً قريباً جداً يبتدئ بالموت ولا ينتهي أبداً، فينظر المرء ما قدمت يده من خير أو شر، ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً، وذلك لَمَّا يرى البهائم بعد القصاص أنهما صارت تراباً، فيتمنى وهو في عذابه أن لو كان تراباً مثلها.

ومن خلال ما سبق يمكن ملاحظة التناظر بين المقاطع كالتالي:

❖ تناظر تسلسلي تراثي: ويظهر فيما يلي:

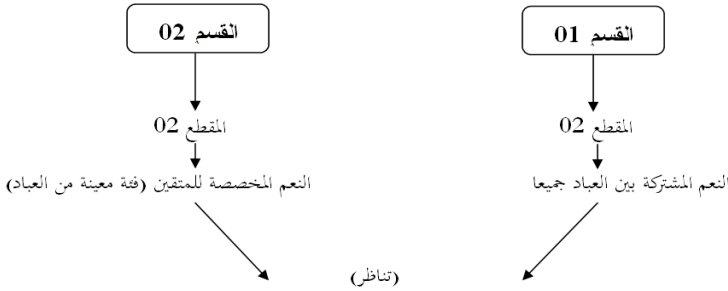
-تناظر المقطع 01 من القسم 01 والمقطع 01 من القسم 02:



فآيات المقطع 01 من القسم 01 تتحدث عن يوم البعث الذي يتساءل عنه المشركون ويكذبون به، ووعيد الله تعالى لهم بقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا

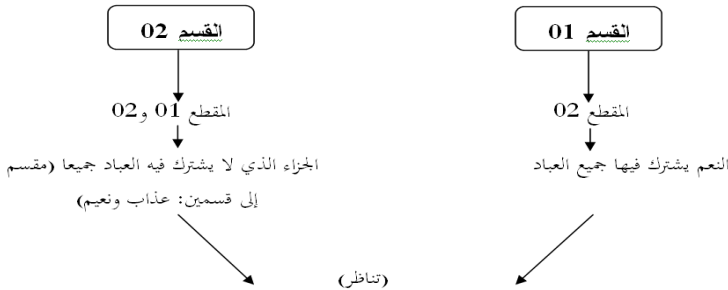
سَيَعْلَمُونَ (5) ﴿﴾ يوم يبعثون من قبورهم ويحشرون إلى نار جهنم، وهو ما تتحدث عنه آيات المقطع 03 من القسم 02؛ فهي تصف العذاب الأليم لهؤلاء المكذّبين الطاغين في جهنّم، والعلاقة التناظرية تتمثل في الترابط والتوضيح.

-تناظر المقطع 02 من القسم 01 والمقطع 02 من القسم 02:

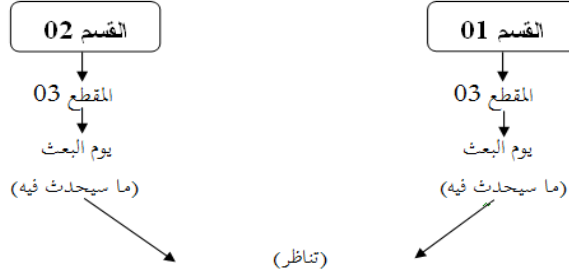


وتوضيح ذلك أن معنى آيات المقطع 02 من القسم 02 تصف النعم التي أنزلها الله تعالى على عباده ليتنعموا بها جميعا في حين أن معنى آيات المقطع 02 من القسم 02 تصف النعم التي أكرم الله بها عباده المتقين، وجزاهم بما دون غيرهم من العباد وهم الطاغون المكذبون الذين جازاهم بالعذاب، وهو ما تشير إليه آيات المقطع 01 من القسم 02؛ فالعلاقة التناظرية هنا هي علاقة التخصيص.

كما يمكن النظر إلى الأمر من زاوية أخرى فنقول بأن الآيات الأولى (المقطع 02 من القسم 01) التي يشترك فيها العباد تناظر الآيات (المقطع 01 و 02 من القسم 02) التي تصف الجزاء (سواء كان عذابا أو نعيما)، الذي لا يشترك فيه جميع العباد، بل ينقسم إلى قسمين: العذاب للطاغين المكذّبين، والنعيم للمتقين المصدقين، وهنا علاقة التناظر تبدو علاقة الكل بالجزء. فيكون الأمر على الشكل التالي:



- تناظر المقطع 03 من القسم 01 والمقطع 03 من القسم 02:



فكل من آيات المقطع 01 من القسم 01 وآيات المقطع 03 من القسم 02 تدور حول يوم البعث؛ فكلّها تصف ما سيحصل فيه من نفخ في الصور، وانشقاق السماء، وسراب الجبال، وقيام الروح والملائكة صامتين حتى يأذن الله لهم فيتكلّموا بالحق، ونظرة المرء إلى عمله، وحسرة الكافر بتمنيه أن يكون ترابا من شدة العذاب. وهنا تظهر بأن العلاقة توافقية بين هذين المقطعين المتناظرين.

-المقطعين 01 و02 من القسم 01 والمقطعين 01 و02 من القسم 02 متناظرين وفق الشكل التالي:



والمقصود هنا أن معنى الآيات في المقطعين 01 و02 من القسم 01 تدور أحداثها في الحياة الدنيا من سؤال المشركين من أهل قريش عن يوم البعث وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ووصف نعم الله على عباده في الدنيا ليتمتعوا بها ويعرفوا قدرة الله وفضله عليهم فيؤمنوا، في مقابل معنى الآيات في المقطع 01 و02 من القسم 02 الذي يتمحور حول ما سيكون في الآخرة من جزاء الله تعالى لكل من الطاعين

المكذبين بالعذاب الأليم والمتقين الأبرار بالجنة والنعيم، وعلاقة التناظر هنا هي المخالفة (التعاكس).

❖ تناظر تسلسلي متعاكس: ويتضح فيما يلي:

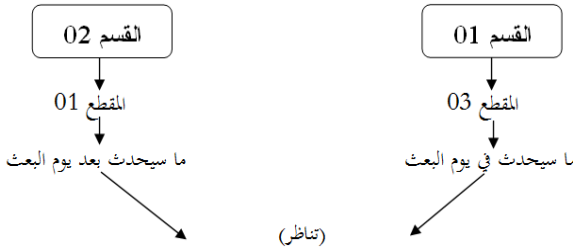
- تناظر المقطع 01 من القسم 01 مع المقطع 03 من القسم 02 كالآتي:



وتوضح ذلك أن معنى آيات المقطع 01 من القسم 01 تدور حول يوم البعث الذي يتساءل عنه المشركون من أهل قريش ويكذبون به، ووعيد الله تعالى لهم بأنهم سيعلمون ذلك في وقته، في حين أن آيات المقطع 03 من القسم 02 تشير إلى هذا اليوم أيضا بوصف ما سيكون فيه من قيام الروح والملائكة، فلا يتكلمون إلا بإذن الله، ونظرة المرء إلى عمله، وحسرة الكافر بتمنيه أن يكون ترابا. والعلاقة التناظرية هنا هي الترابط والتوضيح.

- تناظر المقطع 02 من القسم 01 والمقطع 02 من القسم 02: تم التفصيل فيه.

- تناظر المقطع 03 من القسم 01 والمقطع 01 من القسم 02:



فآيات المقطع 03 من القسم 01 تصف ما سيحدث في يوم البعث من قيام الروح والملائكة صامتين حتى يأذن الله لهم بالكلام فيقولون الصدق، ونظرة المرء إلى عمله، وحسرة الكافر بتمنيه أن يكون ترابا من شدة العذاب، لتصف آيات المقطع 01

من القسم 02 ما سيحصل بعد هذا اليوم من جزاء الطاغين في نار جهنم؛ فكأنهما تتكاملان في الوصف لما تساءل عنه المشركون وكذبوا به. فعلاقة التناظر تظهر بأنها علاقة تتابع وتكامل للأحداث.

هذا، ويمكن ملاحظة التناظر داخل القسم 01 الذي يتمثل في: تناظر المقطع 01 مع المقطع 03؛ فكلاهما يتحدثان أيضا عن موضوع واحد وهو يوم البعث؛ فالأول فيه التساؤل عن هذا اليوم، والثالث فيه تأكيد على أن لهذا اليوم ميقاتا لا يحيد عنه، ووصف للأحداث التي ستسبقه من انشقاق السماء وسيرورة الجبال سرايا (علاقة ترابط وتوضيح).

ملاحظة: نرى أن ترتيب مواضيع القسم 01 متسلسل؛ حيث يبدأ بالتساؤل عن يوم البعث والوعيد من الله تعالى، ثم بيان النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده دلالة على قدرته ورحمته، ليبين لهم في آخر الآيات من هذا القسم أن ما يكذبون به له وقت معين وله أحداث سابقة له، بينما مواضيع القسم الثاني فترتيبها عكسي يبدأ بما سيكون بعد يوم البعث من جزاء (للكافرين والمتقين)، ثم الحديث عمّ سيكون في هذا اليوم. لكن هذا الترتيب لا يتعارض مع ترتيب القسم 01 عند التنسيق بين مواضيع القسمين معا، بل نجد تسلسلا وترابطا محكما كما هو مبين مسبقا في تفسير مقاطع القسمين.

3. 2. تناظر الآيات في السورة:

وتفصيلا لما ذكر سابقا في تناظر مقاطع السورة سنقوم بتبيان تناظر بعض الآيات

كالتالي:

❖ تناظر تسلسلي تراثي: وفيه تتناظر: الآية 17 مع الآية 37. الآية 18 مع

الآية 38. الآيتين 19 - 20 مع الآية 39. الآية 11 مع الآية 31.

رقم آية القسم 01	التناظر	رقم آية القسم 02
الآية 17 ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا﴾ (17)	يوم الفصل أو يوم القيام له وقت محدد، حدّده رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن القادر على ذلك وعلى كل شيء	الآية 37 ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (37)
الآية 18 ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفَاتُوتٌ أَفْوَاحًا﴾ (18)	معنى الآية الثانية تنمة لمعنى الأولى فهما نصبتان في ما سيحدث في هذا اليوم.	الآية 38 ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (38)
الآيتين 19-20 ﴿وَنُفِخَتِ السُّنُوءُ فَكَانَتْ أُبُوتًا﴾ (19) وَمُزِيَّتِ الْحَيَاتُ فَكَانَتْ سِرَابًا﴾ (20)	الآيات تتحدثان عن الأحداث السابقة ليوم البعث وهي أهوال عظيمة، وذلك تأكيداً على أن ذلك اليوم حق لا ريب فيه، وبناءً عليه فمن شاء اتَّخذ إلى ربه مرجعاً بالإيمان والطاعة.	الآية 39 ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ﴾ (39)

♦ تناظر تسلسلي متعاكس: وفيه تتناظر: الآيتين 01-02 مع الآية 40. الآية

03 مع الآية 39. الآيتين 04-05 مع الآية 38.

رقم آية القسم 01	التناظر	رقم آية القسم 02
الآيتين 01-02 ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ (2)	تساؤل للمشركين عن يوم البعث، جوابه أنّ فيه عذاب لكم أيها المكذوبون، بحيث يرى كل عبد عمله، فتنمون لو أنكم كنتم تراباً كما تحولت البهائم إلى تراب.	الآية 40 ﴿إِنَّا أَلَدْنَاهُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (40)
الآية 03 ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (3)	المختلفون حول يوم البعث، فهو يوم الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فلهم الاختيار في أن يتخذوا إلى الله ما بآ بالإيمان والطاعة.	الآية 39 ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءَ﴾ (39)
الآية 04-05 ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (5)	وعيد بعده وعيد؛ فسيعلمون ويتأكدون من ذلك اليوم الحق، حين يقوم الروح والملائكة صفاً فلا يحق لأحد التكلم إلا بإذن الله ويقول الصدق.	الآية 38 ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (38)

4. خاتمة: من أهم النتائج التي تم التوصل إليها ما هو آت:

- تنوّع مظاهر التناظر في سورة النبأ بين المقاطع والآيات، وفي كل منهما شكلان تمثلا في: تناظر تسلسلي تراثي، وتناظر تسلسلي متعاكس.
- تحقق التناظر بين مقاطع السورة الست تحقّقاً كلياً، لكنه لم يتحقق كلياً بين الآيات.

- تعدّد العلاقات التناظرية بين مقاطع السورة وتنوعها ما بين توافق، وتتابع وتكامل، وتخالف، وترابط وتوضيح، وتخصيص، وعلاقة الكل بالجزء.

في الأخير نقول بأن هذه الدراسة ما هي إلاّ اجتهاد لا نستبعد عنه قصر النظر؛ إذ يمكن لقراءات أخرى أن توجد تناظرات أخرى غير التي وردت هنا، وكما ذكرنا سابقا فإن القرآن الكريم مفتوح للتدبر والتأمل سواء للكشف عن التناظر أو عن أسرار إعجازية أخرى، ولكننا في هذا المقام ندعو أن تتظافر الجهود من أجل دراسة هذه الظاهرة المبهرة في جميع سور القرآن الكريم وآياته، لنؤسس ونؤصل لدراسات وبحوث مستقلة في هذا الجانب.

5. قائمة المراجع:

● المؤلفات:

القرآن الكريم.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 01، 1979م.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط03، 1414هـ.

(3) أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام الله العلي الكبير، راسم للدعاية والإعلان، جدة، ط03، 1410هـ/1990م.

(4) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د-ت.

(5) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط01، 1429هـ/2008م.

(6) الشيخ هود بن مُحكّم الهواري (من علماء ق 03 هـ)، تفسير كتاب الله العزيز، تح: بالحاج بن سعيد الشريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1990م.

7) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د-ت.

8) عبد الفتاح حسن علي البجة، ظاهرة قياس الجمل في اللغة العربية بين علماء اللغة القدامى والمحدثين، دار الفكر، عمان، ط01، 1419هـ/ 1998م.

9) ليون ليدرمان، وكريستوفر هيل، التناظر والكون الجميل، ترجمة: نضال شمعون، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط01، 2001م.

10) محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2001م.

● المقالات:

11) حامد إبراهيم امهيدي، التناظر والدليل في سياق التأويل، الرسم أنموذجا، جامعة بابل كلية الفنون الجميلة، مجلة نابو للبحوث والدراسات، العدد5، ديسمبر 2010م.

12) سليمان الدقور، أيمن عيد الرواجفة، التناظر في القرآن الكريم: تأصيل وتطبيق، إسلامية المعرفة، لمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، السنة24، العدد96، 1440هـ/ 2019م.

13) ندين مصطفى السليمي، الوحدة الموضوعية لسورة البلد عند ابن عاشور وإصلاحي ونظرية التناظر — دراسة نظرية تطبيقية—، مجلة الصراط، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر، المجلد21، العدد03، ديسمبر 2019م.